«الملحون» يمشي على قدمين

احمد سهوم: الملحون فن الكلمة البليغة و«الراي» فن المقاومة و الرأي الحر!

برلين ـ «القدس العربي»
ـ من ادريس الجاي:

في صبح قائظ، استقللت القطار من مراكش عائدا الى الدار البيضاء. كانت العربات مكتظة بالمنسلخين مثلي عن المدينة الحمراء القاصدين المدن الغربية والشمالية مدفوعين بغايات متعددة. في زحمة مقصورة مكيفة، لا تسنح بادنى شك، اننا خلفنا جهنم متأججة خارجها، كان يجلس الى الجهة اليمنى مني، المحاذية مباشرة لمدخل المقصورة وديعة قسمات وجهه مثل «بشارالخير»، (اسم استعارة للفراشة في الدارجة المغربية)، سابح بنظاراته في عوالم لا تفضح اثرا واضحا عن مكنوناته، وإنما عن ألغاز عميقة، مستترة في ذاكرة عميقة وغنية. كانت عيونه خلف نظاراتها السميكة غائرة في وهاد الزمن البعيد، مسربلة في لفاف رمزمطلسم اهداها جلال شيخوخة حية ويقظة. فقد زادته البدلة الزرقاء، الغامقة التي ما الفته فيها، تغريبا عمقه جسم مسافربدين اخرالى جانبي، كان حالا بيني وبين الرؤية الواضحة الى ذلك الشيخ المحاط بهالة الصمت. لحظة رن تلفونه المحمول فهتف: «نعم يا بني، سأجعلهم ينادون عليك أنشاء الله. إنني الأن في طريقي الى الرباط لإعداد الحلقات الرمضانية. في رعاية الله». لم يدع لي جمال لغته العامية الراقية مجالا للريب، أنني اسافر في معية اهم باحث مغاربي في أدب الملحون (الادب التراثي) الأستاذ احمد سهوم.

احمد سهوم أحيا الملحون ويحيا به، بل لنا الحق ان نقول، انه الملحون يمشي على قدميه، خزانة متحركة، غنية المعارف متجسمة في هذ الرجل النحيف القصير القامة. شاعر، اديب، باحث ومنشد قصائد هذا النوع من الادب العربي، الذي تعود جذورتكوينه المبكرة الى الفترة الاخيرة من الوجود الاسلامي في الاندلس، قد اثار اهتمام الكثير من الباحثين شرقا وغربا وفوق الكل في شمال افريقيا وبوجه خاص في المغرب، الذين قدموا اعمالا قيمة اغنت الخزانة الادبية العربية بالكثير من الاطلالات الثرة على عالم التحول في اللغة العربية كالدكتور عباس الجراري، الاستاذ محمد الفاسي، الاستاذ عبد الله شقرون واسماء اخرى لا تقل عطاء عنهم. كما خصصت الاذاعة المغربية عدة برامج لهذا الفن استمرت بدءاً من فترة الاستعمار الفرنسي حتى الزمن الحاضر، استهلها سنة 1948 الاستاذ محمد ابا حنيني (وزير مغربي سابق للثقافة) وابتداء من منتصف الخمسينات تسلم أحمد سهوم المنبر، وكان له الفضل الكبير في تعميق المفهوم والبعد الادبي لهذا الفن التراثي الذي يغلب عليه النقل الشفاهي. كما تخللتها مساهمات اخرى لعدد من الباحثين امثال الاستاذ عبد الرحمن الملحوني وحتى الوقت الحاضر يواصل الاهتمام بهذا الفن ثلة من الشباب المثقف عبرالكتابة الادبية او البرامج الاذاعية والتلفزيونية كالاستاذ محمد المرزوقي، احمد عيدون، نبيل الجاي، او مساهمات النشر العديدة ومنها مساهمة بيت الشعر، الى جانب إصدارعدد من الاعداد الخاصة لادب الملحون في المجلات الثقافية المغاربية. لكن ما يميزالاستاذ احمد سهوم عن غيره من الباحثين في مجموع شمال افريقيا لا في المغرب وحده، هو انه الوحيد الذي تجتمع فيه صفات الباحث، الشاعر، الحافظ والمنشد لقصائد هذا الفن من الادب العربي الشعبي. لقد امتطى شعراء هذا الفن من الشعر موازين ومقاييس الشعرالعربي الفصيح القديم منه الحر لكن قبل الشعر العربي الحديث بفترة ليست بالقصيرة ونسج كذلك على منوال المقامات ما يعرف «بالحراز» والرباعيات. فهو لم يستمد من الشعر العربي الشكل فقط بل تخطاه الى عمق المضامين، التي عرفها، من مدح، هجاء، رثاء، فخر، ثناء وغزل، غير ان سهوم ينكرها على الادب الملحون وهو يقول: «الملحون لا يعرف الغزل. لان الشعر الغزلي هو معادلة موضوعية لكائن متجسد او متخيل كقصائد قيس او جميل. اما الشاعرالملحوني فقصائده اشارات اشواق غير انها لا يمكن ان تخرج الا عبر مسميات لاهي موجودة ولا متخيلة». مع كل العقبات التي عرفها الملحون في الفترة الاخير ولا زال يعرفها حتى اليوم، يتفائل الأستاذ احمد سهوم جدا بمستقبل الملحون المغربي حيث يرى:

«ان حاضر أدب الملحون هو أفضل من أي وقت مضى. فقد قدمت فيه، وهو ما لم يحدث في أي فترة سالفة، 32 اطروحة واكثر من 70 بحث لنيل الإجازة في المغرب وحده وقد تزايد الوعي بهذا الفن لذا الاجيال الصاعدة من حيث امكانياته المتعددة في ما يخص قدرته على التعبير في اللغة العامية. فتاريخ الملحون عرف مراحل من التطورالجاد ابتداء من القرن 16 على عهد دولة السعديين....».

لكن ما هي الضرورة الادبية والفنية الان لادب الملحون في عصر الالكترون والغزو الاعلامي الفضائي؟ قاطعته بسؤالي.

«إننا في امس الحاجة الى الرقي بالتذوق الفني، اللغوي والجمالي. فقد علمنا الملحون فن نحت الكلمة، صياغتها كما منحنا امكانية تذوق سحرالتعبير، سلطته وابعاد قوته. فلغة الملحون قوامها لغة عربية عريقة فهي إما ذات طبيعة تعبيرية عربية مغاربية اندلسية او شرقية قديمة، وقد ظلت تحمل جذورسماتها الاولى، التي جاء بها التوسع الاسلامي الى شمال افريقيا. فإذا لم يعد هناك راع ادبي لتذوق، الذي ما فتئ فن الملحون يحرس على القيام به إبتداء من عصر المنصورالذهبي حيث انتقلت الثقافة الشفاهية من الشمولية الى الخصوصية المغربية والمغاربية، فسيصبح محكوما على هذا التذوق، بسبب وضع الخطوط الحمر، التي على الشاعر لها وعدم تجاوزها، وذلك عن طريق إنحسارالفقهاء مثلا في مجالات لزوم ما لايلزم، بمصير الانحدار. فكل الحركات الادبية العربية الاخرى، عرف الملحون مراحل التقييد وتحديد المقاييس الفنية، التي تشكل خطرا على تطوره مثل ما حصل مع الشعر العربي الجاهلي في مرحلة انتقاله الى المجتمع الجديد. فقد كان شعرعنترة مثلا يزخر بالمروءة والذوق الرفيع ككل شعر مرحلته، التي اعتبرها ارقى مرحلة شعرية في التاريخ الادبي العربي، فقد كان هذا الشعرلا يعرف تحديدات اخلاقية او نقدية معينة إلا حين بدأت توضع امامه وذلك تحت اسماء متعددة كالورع، الاخلاق والتدين، خطوطا حمراً ما جعله يتدرج منذ ذاك من مستوى بداهة الخلق الى حالة من الصناعة الشعرية».

لقد حمل احمد سهوم و لا زال يفعل حتى الان، على عاتقه، مهمة التعريف، الدفاع والإجتهاد لاجل إيصال هذا النوع الادبي الى مسامع العامة والخاصة معتمدا في ذلك على ارضية شعرية، لغوية عربية وقرآنية بغية المقارنة والشرح بلغة أقل ما يقال عنها لغة التجاوب. إنني اعتبرك رجلا اطال من خلال هذا الاصرار المتواصل في عمر الملحون و... «والملحون اطال عمري هو كذلك»، قاطع سؤالي، «إنني الان ابلغ بضعاً وسبعين سنة من العمرغير أنني لا اجد وقتا للشيخوخة، فللملحون اعيش وبه احيا. حتى وإن كان الملحون قد جرعلي اول حياتي وانا لازلت يافعا اتعلم وامارس صنعة الخرازة في مدينة فاس، بمصاعب جمى، وذلك راجع الى انني لم اتبع قشورالملحون وكما كنت لا زلت شغوفا بطرح الاسئلة عن مضامينه وخلفياته واغراض رموزه التي رافقتني طيلة رحلة حياتي حتى اليوم الحاضر». ففي اغراض الرموز بالقصيدة الملحونية بدأ سهوم كتابة دراسة من اثني عشر جزءا سبعة منها انهاها منذ سنتين وهو الان بصدد العمل على اتمام الاجزاء المتبقية معتمدا في هذه الدراسة، قصيدة «العقيقة» للشاعرالجزائري سيدي بوعثمان احد معاصري الشاعر والفقيه المغاربي عبد العزيز المغراوي «فالملحون»، يقول سهوم هو اكثر من قصيدة مغناة بل هو دلالات لم يُرد بها الاطراب فقط. فحتى وإن كانت القصائد تتحدث لغة لا تفشي غيراشواق قد تبدو للوهلة الاولى مجرد عبارات عابرة، فهي تجميع واختزال لنظرة الشاعر ولفلسفته في الحياة». بعد ريادة طرب الملحون بقصائده الغنية بالعبارات والمواضيع الشيقة لفترة طويلة في غرب شمال افريقيا يتربع الان فن الراي عرش موسيقى الغرب العربي الا ترى أن هذا الفن الموسيقي قد زاحم طرب الملحون الى حد الزج به في الظل حيث حصد تزايد اهتمام الشباب به في الفترة الاخيرة؟

«إن معنى موسيقى الراي» يقول الاستاذ احمد سهوم، «في الاصل هو الرأي الحر، لها جذور فنية عميقة في المجتمع الجزائري خاصة في منطقة غرب الجزائر، حيث لعبت في صورتها الاولى التي تعرفت عليها في رحلاتي الى الجزائر في اواخرالاربعينات من القرن الماضي عندما كان المغاربة والجزائريون يتبادلون الزيارات الفنية والتجارية متحدين بذلك الحدود والحواجز الوهمية، التي حاول الاستعمار الفرنسي وضعها بين الشعب الواحد، لعب هذا اللون الفني في مرحلة المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار دورا هاما في تحريك الهمم قصد المناهضة. فاحدى هذه الاغاني تحفز المرأة على المقاومة: «إحرقي الخيمة وحاربي بوتدها.» وبعد فترة انتهاء المقاومة لم تعد هناك ضرورة للحرب، فقلبت الاغنية الى: «إحرقي الخيمة وحللي برمادها». فهذا مثال على التحولات التي لحقت بفن الراي ما جعله في كثير من الحالات لم يعد المعبرعن روح المقاومة التي كان يجسدها. غير أن الملحون عماده هو الكلمة البليغة اما الايقاعات التي ادخلت عليه، إن هي إلا نوع من التطويع قصد التداول». الاستاذ احمد سهوم معروف عنك انك... «نعلن للسادة المسافرين المتوجهين الى كل من الرباط، المحمدية، القنيطرة، مكناس، فاس، أن القطار، سيدخل محطة الدارالبيضاء».

فرقة «جيل جيلالة» في احدى حفلاتها

فضائيات

حرب «تيان آن مان» والبطاطس: لماذا اتلذذ بعبث الامريكيين بفرنسا؟

توفيق رباحي*

■ أعتقد أنني سيىء حظ، على عكس الذين يعيشون في فرنسا هذه الأيام ويهتمون بمراقبة ما يجري في حقلي السياسة والاعلام.

سبب سوء حظي أن البطاقة «الملطوشة» التي كنت التقط بها القنوات الفرنسية انتهت صلاحيتها وأصبحت تحتاج لوصفة سحرية تعيد لها الحياة. انتهت صلاحيتها عندما احتجت لها أكثر.

وسر حظ الآخرين أن هناك حربا استفزازية فضائية صامتة، تستحق المتابعة، يشعلها الأمريكيون ضد فرنسا بطريقة غريبة ولأسباب أكاد أقول انها غير مفهومة. حركات تعقبها ردود فعل فرنسية أشبه بردود بعض الأشقاء المصابين بداء الوطنية الزائدة (اللبيب من الاشارة يفهم).

فكلما تجشأت فرنسا، هرع اليها الصحافيون الامريكيون، في مقدمتهم «سي ان ان»، لكي لا يفوتوا فرصة التفرج عليها ـ والتشفي ـ وهي تتقيأ.

حدث ذلك في أحداث الشغب التي عرفتها البلاد قبل اربعة اشهر وكان وراءها أبناء المهاجرين المغاربيين والأفارقة. تفنن الصحافيون الأمريكيون في تغطيتها رغم جهل بعضهم الفادح بتاريخ وجغرافيا وسوسيولوجيا الأحداث، فوقعوا في كثير من الأخطاء المهنية.

تسبب ذلك في ردود فعل غاضبة «عالمثالثية» في الوسط الاعلامي والسياسي الفرنسيين، ليس فقط بسبب الأخطاء، ولكن أيضا بسبب الافراط (الأمريكي من وجهة نظر فرنسية) الشديد في متابعة وتغطية كل شاردة وواردة.

لكن لا اعتقد أن ذلك الغضب أثنى الأمريكيين عن شيء. والدليل انهم عادوا بقوة لتغطية الغضب الاجتماعي المتنامي في فرنسا ردا على «عقد الوظيفة الأولى».

مراسل «سي ان ان» رسميا بباريس هو جيم بيترمان. وهو صحافي ملم بعمله هناك واقرب الى الموضوعية بمفهومها الفرنسي هذه الأيام، لكن يبدو أن رغبة «سي ان ان» في وخز الفرنسيين فرضت الاستعانة بفريق أكبر.

بينما تكتفي القنوات الأخرى بتقارير المراسلين أو وكالات الأنباء العالمية (مصحوبة أحيانا بـ«ينضم الينا الآن من باريس المحلل فلان»)، خصصت «سي ان ان» الدولية يوم الثلاثاء الماضي ما يزيد عن ثلاث ساعات مباشرة من باريس كأن فرنسا أصبحت شأنا أمريكيا مثل اعصار كاترينا والانتخابات الرئاسية وتفجيرات 9/11 (عدا هذا لا اذكر أن حدثا ما استحق كل هذا الاهتمام والمساحة الوقتية).

وبينما يكتفي المراسلون الأجانب بالتغطية الطبيعية مع حد ادنى من الحيطة، يُشاهد مراسلو «سي ان ان» بمظاهر توحي بأنهم في ميدان حرب: صدريات واقية من الرصاص، أنابيب تنفس، أقنعة على الوجه، خوذات فوق الرؤوس الخ.

وبينما يتباهى المراسلون الآخرون بوجودهم في باريس، عاصمة النور، يحدّث المراسلون الأمريكيون زوجاتهم وصديقاتهم في البلد عبر الهاتف الجوال باعتزاز الرجل الذي يتكلم من ميدان حرب، فترد هي بنصائح من نوع «خذ احتياطاتك.. حياتك أهم لدينا جميعا» وما شابهها.

وكما أخطأت قناة «سي ان ان» في تحديد المواقع الجغرافية للمدن الفرنسية التي حدثت فيها اضطرابات الخريف الماضي فوضعت ـ مثلا ـ ستراسبورغ بغرب البلاد، قارنت صحافية من نفس القناة المظاهرات الحالية ضد عقد الوظيفة الأولى بأحداث ساحة «تيان آن مان» في صيف 1989 بالعاصمة الصينية بكين. ما اعتبره الفرنسيون اكثر من اساءة لكرامتهم العزيزة عليهم.

طبعا، اندلع جدل حول هذه المقارنة «السخيفة»، من وجهة النظر الفرنسية، توجه في معظمه نحو أن مستعملي هذا الوصف قليلو أدب.

ولعله من المفيد القول أن وصف «تيان آن مان» استُعمل في «سي ان ان» المحلية، ما يعني أيضا أن الفرنسيين يراقبون جيدا عمل هذه القناة عن بلادهم ولو في بثها المحلي.

هذه المشاكسات، على ما فيها من ازعاج ومساس بالكبرياء الفرنسي الزائف (الذي صرّوه الينا) تثير المتعة والضحك وتجعل شخصا مثلي يتلذذ باستمرارها (لأنني في صف المتشفّين ولدي أسبابي الخاصة).

أتلذذ عندما أشاهد الارتباك في القنوات الفرنسية الكبرى مثل «تي اف 1» و«فرانس 2»، فهي تريد أن ترد على «التطاول» الأمريكي ولا تعرف كيف. وتريد كشف انه فعلا تطاول غير بريء وانحراف عن الحقيقة والموضوعية، ولا تعرف ما المطلوب منها بالضبط.

ومن طرق الرد اجراء تحقيقات عن كيفية تغطية الأمريكيين للأحداث، واستطلاع آراء صحافيين أجانب مكلفين بالتغطية. ضمن هذا السياق استجوب مراسل جزائري لقناة دولية فتاة من المتظاهرين ذات ملامح عربية فاستوقفه فريق تلفزيوني سائلا بطريقة بوليسية: لماذا هي بالذات؟ وعندما رد المراسل بالطريقة التي يستحقها السؤال، اعتذر رئيس الفريق وقال انهم من محطة «تي اف 1» وينجزون تحقيقا حول التغطيات التلفزيونية الاجنبية للأحداث. أفتح قوسا هنا لالفت انه اذا أتيح لأحدكم متابعة حدث كبير في تلفزيونات احدى الدول المغاربية، سيرى حتما تقارير عن الوفود الاعلامية الكثيرة التي تقاطرت على البلاد وكيف غطت الحدث، مع اضافة بهار الاعجاب بالتسهيلات والامكانات التي تكرّمت الحكومة بوضعها تحت تصرف المراسلين الأجانب، مصحوبا بنفاق بعضهم، خصوصا العرب.

لهذا قلت مرة اننا في شمال افريقيا لم نخترع شيئا من عندنا، بل ورثنا العُقد والغرور من فرنسا الغارقة في غرورها.

وأتلذذ عندما أسمع رد المدير العام للشرطة الفرنسية، ميشال غودان، على سؤال عادي جدا من صحافي وكالة «اي بي» للأنباء عرف من لكنته بأنه أمريكي: «اذا كانت فرنسا تهمكم، سأدلكم على مناطق اجمل (قياسا بالغيتوهات النتنة التي يسكنها المهاجرون) تزورونها». حدث ذلك قبل أربعة أشهر، خلال أحداث الشغب.

الرد هنا هو نموذج الفرنسي الغيور على عزة وطنه على الأمريكي المتطاول المتشفي.

السؤال الذي يحيرّ الفرنسيين هو لماذا هذا «التطاول» الأمريكي؟ أعلاميون فرنسيون حملوا نفس السؤال الى مكتب «سي ان ان» في باريس فأحيلوا الى مكتب لندن باعتباره مكتبا اقليميا ومسؤولا اداريا عن المكاتب الأوروبية. كل ما ناله الفرنسيون شبه اعتذار محتشم عن التشبيه بـ«تيان آن مان» من مراسل ضمن تقرير عابر.

من السهل القول ان السبب يكمن في خلافات البلدين سنة 2003 حول احتلال العراق وما صاحب من تراشقات اعلامية ومعايرة بين الطرفين بلغت حد مقاطعة البطاطس المقلية على الطريقة الفرنسية في الكونغرس الأمريكي.

لكن يبدو أن الأمر اعمق. وربما نجد جزءا من تفسيره في نكران الفرنسيين للعظمة الأمريكية ولتضحيات الأمريكيين. لن ينسى الأمريكيون بسهولة أن في ذروة الاحتفالات بالذكرى 60 لانزال جيوش الحلفاء (الجيش الأمريكي في الحقيقة) بمنطقة نورماندي بشمال فرنسا في حزيران (يونيو) 1944 (بينما كان نصف الفرنسيين مستسلمين لهتلر) كشف استطلاع رأي فرنسي أن 50 في المئة من الفرنسيين لا يعترفون بالجميل الأمريكي. ماذا ينتظرون بعد هذا اللؤم؟ الوخز قليل فيهم!

انسجاما مع الحرب

■ «ميدي سات»، الفضائية الفرنسية ـ المغربية، قطعت شوطا اخر نحو نقطة من بدء البث. الأسبوع الماضي أمضت عقدا مع «اي بي تي ان» لتزويدها بالعتاد والخدمات.

أذكر أننا كنا في الجامعة عندما أطلق المغرب وفرنسا من طنجة اذاعة البحر الأبيض المتوسط المعروفة اختصارا بـ«ميدي 1». ساد الاعتقاد آنذاك بأنها ستكون مناوئة للجزائر في ذروة توتر بين البلدين.

اذا كان هذا الاعتقاد ما زال سائدا وسينسحب على «ميدي سات»، وهي «بنت ميدي 1»، انصح الجزائريين بانشاء محطة فضائية بالتحالف مع الأمريكيين انسجاما مع الحرب الواردة في الجزء الأعلى من هذا المقال.

الدهماء والكراسي

■ تجري في المغرب هذه الأيام محاكمة مدير صحيفة محلية بتهمة الاساءة الى رئيس دولة أجنبية هو الرئيس عبد العزيز بوتفليقة. وفي الجزائر علمت بصحيفة حوكم رئيس تحريرها ومحرر بتهمة الاساءة للملك الحسن الثاني وكان لا يزال على قيد الحياة.

اليوم اقترح (على ليبيا) طلب مساءلة الصحافية باتريسيا موازون من قناة «اي تيلي» الفرنسية، وهي القناة الاخبارية التابعة لمجموعة «كانال+».

بهذه الطريقة علّقت الصحافية في أحد برامجها على كلام العقيد معمر القذافي حول الديمقراطية ـ وناقل الكفر ليس بكافر ـ: «شاهدناه يقول ديموكراسي كلمة مركبة من ديمو ومعناها الشعب، وكلمة كراسي التي هي كراسي (chairs) . ولو جئتم الى ليبيا لرأيتم في الشوارع المواطنين الليبيين جالسين على كراس. نحن لدينا ديموكراسي».

ضحكت الصحافية وقالت: «هكذا هو القذافي، نظن أحيانا أنه شفي ولكنه سرعان ما يعود الى جنونه». وقبل ثلاثة ايام سمعت القذافي يتحدث لقناة ابوظبي الفضائية عن الديمقراطية فقال «ديموكراسي تعني الدهماء (تجلس) فوق الكراسي».

لا تعليق حتى لا أحاكم.

ثم سمعت المذيعة تختتم المقابلة مخاطبة العقيد «اذا كان في مشوار كل اعلامي علامة مضيئة، فانا اعتبر لقائي مع سيادتك علامة مضيئة في مشواري».

مرة اخرى لا تعليق، فـ«للناس في ما تعشق مذاهب».

---

* كاتب من أسرة «القدس العربي»
toufik@alquds.co.uk

وارضيات

الناصرة تحتفي بالمخرج هاني ابو اسعد:

تكريم ناقص.. فهم يتطلعون خارج الاسوار!

وسام منير جبران*

■ من الرائع والمؤثر أن يُكرَم فنان أو عالم أو مبدع، أيّاً كان مجال ابداعه، من قبل أبناء وطنه وفي بلاده. من الرائع أن نحترم مُبدعينا ونعبرّ عن مدى تحضرنا من خلال تكريمنا لهم. ومن الجميل وجود مُبدعين لدى كلّ شعب/ عائلة، كما من الجميل أن يكون هنالك شعبٌ/ عائلة لكل مُبدع. ولكن، كيف يكون التكريم وكيف يكتمل؟

لقد أبدى رئيس بلديّة الناصرة المهندس رامز جرايسي لفتةً رائعة في تكريمه (باسم أهل المدينة) لهاني أبو أسعد مخرج «الجنة الآن» الحاصل على جائزة هامّة اعلامياً. ومهما كان رأيي في فيلم هاني، فهو بلا شك أنجز مهمةً (مع طاقمه الفني والحرفي) ليست بسهلة، ويستحق دعمنا وتشجيعنا والتفافنا حوله جميعاً، وتُحسب لرئيس البلدية هذه المبادرة الكريمة باسمنا.

يبقى هذا التكريم ناقصاً. لماذا؟

هاني أبو أسعد وغيره من الفنانين الحائزين على جوائز وغير الحاصلين عليها بعد، يتوجهون بانظارهم وطموحاتهم الى خارج الناصرة. ومن الصعب التأكيد على أن الناصرة بلدةً وبلديّةً ومؤسسات لها فضل حقيقي ومساهمات حقيقية في تشكيل مُبدعيها وبناء مُنجزاتهم. ومن الصعب الايمان بأن المبدع الناجح يرغب حقيقةً في البقاء في هذه البلدة. فلا يأخذ الفنان المُغترب قسرياً، الباحث عن نجاحه، لا يأخذ معه من الناصرة غير الحب والحنين والحسرة، فارغين من أيّ مضمون موضوعي.

فكيف نكرّم الفنان؟ كيف نُبقيه في أرضه؟

الكثير من الجوائز القيّمة (التي لها دلالة قيميّة نوعيّة وليس بالضرورة اعلاميّة) مُنحت لعدد من أبناء الناصرة، جميعها من قبل جهات ودول ومؤسسات خارج نصراويّة، وما عدا الجوائز التي لها قيمة اعلاميّة لا يتم تكريم أحد من أصحابها. ماذا نستشعر من هذا؟ ان التكريم منوط بالعائد الاعلامي الذي يوفّره نجاح الفنان لمن يكرّمه؟!

والأسوأ من هذا (حتى لو لم يكن مقصوداً) أننا لا ننتبه لمبدعينا ولا نكرمهم الاّ اذا اعترف بهم الأمريكيّون أو سواهم من الأغراب، ولا نفلح الاّ في سبّ اللوبي الصهيوني (الوهمي) في حين أن دولة اسرائيل وصناديقها هي المموّل الأول لمعظم الأفلام الفلسطينيّة وأن اللوبي الصهيوني اختفى فجأةً حين حصل هاني أبو أسعد على الجائزة المحترمة، وكأن حول جائزة «الكرة الأرضيّة الذهبيّة» لوبياً فلسطينياً قوياً! لماذا نهين الجائزة حتى عندما نرغب في تكريمها؟ لماذا نهين معرفة وثقافة الناس وكأن ليس هناك من مختصّين ومتعقّبين وعارفين بتفاصيل الأمور من بيننا؟!

لماذا لا نريد أن نعترف وننتبه بأن الفنان النصراوي (وآخذ نفسي كمثال لا تباهياً بل لصدق معرفتي بما حصل لي وبما أشعر) يعاني ويتألم حين يُمنح جوائز من قبل من تربيّنا على أنهم أعداؤنا، دون قيد أو شرط، بل لمجرّد اعترافهم المهني بقدراتنا وانجازاتنا.. أما أولئك الذين أفنَيْنا عمرنا في نشر مبادئهم وفي عطائنا لهم ودفاعنا عنهم، وما زلنا، ينتظرون تكريماً أمريكياً صاخباً اعلامياً لكي يقفزوا أمامنا بباقات الزهور التي، وبالمناسبة، لا تساويها كل جوائز الدّنيا.

ان باقة زهور من رامز جرايسي أو أي رئيس بلديّة يمثل بلدي هي أجمل من جائزة نوبل نفسها، بشرط أن تعبّر لا عن تقدير رئيس البلديّة لتقدير أمريكا لنا، بل تعبّر عن تقديره (كممثل للناصرة) هو لنا. والتكريم لا يعبرّ عن المُكرَّم الاّ بمقدار ما يعبرّ عن المُكرِّم.

التكريم لا يكتمل، على كلّ حال، الا حين نضع أمام أعيننا رؤية تؤسس لبناء وتنشئة أجيال من المبدعين وممن يملكون الكفاءة على تقديرهم وحماية المناخ الذي يحتاجه الفن والابداع والعلم.

اليوم يُشرع في اعادة ترميم المعهد الثقافي الذي حرقه معتوهون خسيسون سَفَلَة. فهل يُعاد ترميمه تجهيزاً للحريق القادم؟ هل هناك من رؤية هندسية أمنيّة واضحة؟ والأهم، هل هناك تخطيط جدّي ورؤيّة جادّة ادارية ثقافيّة اعلاميّة تسويقيّة لهذا المعهد الذي يُفترض أنه يمثل واجهة الثقافة وبيت الثقافة وحضن الثقافة لمدينة الناصرة، مدينتنا الحبيبة؟ هل هناك تواصل حقيقي بين بلديّة الناصرة وبين مُبدعيها ومثقفيها وفنانيها من أجل صياغة خطةّ جديرة بالثقة، تعبرّ حقيقةً عن مضمون الشّعار الرائع المرفوع منذ زمن: «الناصرة مدينة الثقافة»؟!

رئيس بلديّة الناصرة رامز جرايسي يكرم هاني ابو اسعد

فرقة «الفرات» ومسرحية «العرس الوحشي»

صراخ منسي: «كلنا غارقون في العار»

ستوكهولم ـ «القدس العربي»
ـ من عصمان فارس:

في مهرجان ايام المسرح Riks teater في ستوكهولم شاركت فرقة الفرات مسرحية العرش الوحشي من اعداد الكاتب المسرحي العراقي والمبدع فلاح شاكر عن رواية الكاتب الفرنسي جان كيفلك والحائز على جائزة جونجور الدولية. النص في الرواية احداثه تدور في فرنسا، اما النص في المسرحية المعدة احداثها تجري في جنوب العراق، والمسرحية من اخراج المخرج السويدي نيكلاس ساندستروم وتمثيل الممثل العراقي حسن هادي والممثلة العراقية عايدة عمر، وعازفة الغيتار نادين عمر.

عرضت المسرحية باللغتين العربية والسويدية والترجمة على الشاشة في اعلى وسط المسرح. المكان جنوب العراق بعد سنين عجاف من خروج المحتل، لأن القوات الامريكية موجودة في كل العالم جار غير مرحب به ومكروه في اليابان وفي كوريا وفي ابو غريب، اليانكي يغتصب النساء، ارضية المسرح عبارة عن ارض مغطاة بالقصب مع موقع ترابي اشبه ما يكون بأرض الحرام ومن مخلفات الحرب.

منسي شاب يدخل مع حقيبته كالمجنون يبحث عن مكان لكي يدفن كومة او رزمة من المال في التراب يحفر ويحرك قدميه كالكلب ليغطيه بالتراب. الابن منسي خائف ومعلق بشكل جنوني يحب امه كالعقدة الاوديسية، يحاور نفسه وهو خائف ويردد نفس الاسئلة باحثا عن الاصل والوجود وسط هذا الركام والخراب في النفس البشرية.

منسي ومهمل وسط خراب الدنيا والقيم يبحث عن اعز شيء مفقود وهو صلة الرحم والحب والحنان بحوارات عربية وسويدية خائف من كلمة انا لست امك.. والعرض يتيح للمتلقي المتابعة بالعربية والسويدية.. يلتصق منسي ـ حسن هادي وبشكل طفولي وجنوني بحب امه عايدة عمر.. مرة تكون الام والعروسة والقريبة والحبيبة ويتحرك الاثنان وبكل رشاقة وسط جزرة ترابية فيها عيون ضوئية تلمع توحي للمتلقي انها عبارة عن مصابيح وحقول الغام. فعلا الارض وسط خراب الحروب والاحتلال وضياع الانسان وفقدان الكرامة وتنكر الانسان لأدميته.. منسي يذكرني بشخصية منسي والتي ابتدعها الكاتب الكبير الطيب صالح في مقالاته، او حنظلة ناجي العلي وسط غفلة الحياة والسؤال المحير والجواب المفقود من أنا؟ ومن انت؟ ومن أمي؟ كل شيء ضاع مع الوطن والشرف، الفنان حسن هادي حاول زرع بذور الدراما المسرحية في النص وهو ممثل جيد يمتلك الايقاع المنوع في صوته وحركته.. ومن الوهلة الاولى تشعر انك امام ممثل يمتلك مقومات ومفاتيح دوره متوازن في الحركة ومثير يتعاطف معه المتلقي لأنه يطرح اسئلة عديدة ولكن بدون ان يتلقى اي صدى.. تشعر انه مهمل ربما لكونه يمثل العار وسط كابوس الجريمة والاغتصاب اي اغتصاب الام من قبل جنود الاحتلال.. اما الام والتي ادت دورها الممثلة عايدة عمر فتقف لأول مرة على خشبة المسرح تجيد اللغة السويدية رغم قصر الزمن على تواجدها في السويد.. كانت رائعة في ادائها وتتحرك بكل رشاقة وخفة وتمتلك الثقة العالية في فهم شخصيتها وكانت حتى في حواراتها السويدية تتصرف كأي امرأة عراقية ترتدي الملابس السوداء والشيلة.. امرأة محطمة وسط ظلام الحياة وقسوة الزمن وغدر الزمان وخلقت عازفة الغيتار نادين حالة التوازن والايقاع المناسب لبناء حالة الفراغ في الحوادث. ويتمتع المعد والكاتب فلاح شاكر بأنه جريء وكاتب مبدع يتناول موضوعات مهمة ذات قيم انسانية ولها علاقة اصيلة بمصير الانسان ومعاناته. هناك مركب شاعري في النص والاخراج مبني على الاضاءة والموسيقى والحركة.

كل المناظر والمعدات المسرحية رتبت بشكل دراماتيكي جميل، لغة الشعر في النص العربي والابداع التجريبي في الاخراج ابتعد الجميع عن الجوانب الشكلية والسطحية ودخلوا الى اعماق الحدث كما شاهدنا الام وهي تؤدي شخصيات عديدة: الحبيبة، المراهقة، القريبة، والام، وهي متوازنة وبارعة في ادائها، احيانا كنت اجوب اغوار نفسي كمتلق وكنت اتصورهم كأنهم في فضاء آخر مثل القمر او المريخ يبحثون في تساؤلاتهم الفلسفية عن الذات الانسانية في ظل واقع فاسد مليء بحقول الالغام المعدة للانفجار في اي لحظة وسط عالم سحري مليء بالكوارث، كيف ولا؟ اذا كان الموضوع له علاقة بكياننا واخلاقنا ووجودنا.. ام شابة بعمر الزهور يعتدي عليها اليانكي القبيح والهمجي يغتصبها في شهوة حيوانية فتنجب جنينا ملوثا مسخا يلقب بالعار وهو يصرخ بأعلى صوته «كلنا غارقون في العار» وهو يبحث عن ذاته وعن امه وهي رمز الوطن المغتصب.. منسي الانسان المحبط الكل ينفره ويرفضه يبحث عن كلمة واحدة من حنان ومصدر امه يرجوها ان تحبه، لماذا تكرهه؟ منسي متعلق بالحبل السري لأمه اخيرا تنطق الام كلمة الحب فيعطيها كيس النقود ويهرب في حقول الالغام فرحا وفق نهاية قدرته لغسل العار.. ترك عندي العمل تساؤلا لا اعرف كم منسي نشاهد نتيجة عدوان اليانكي والسجان الهمجي القبيح في سجن ابو غريب؟! مصير الانسان معلق بنسيج من خيوط العنكبوت في ظل قانون الغاب مات الملايين في ربيع الشباب في ظل النظم السياسية والعسكرية من دمار القيم ومن تلك الامور المحزنة فقدان العدالة وتسود الانحرافات السياسية والقسوة الوحشية.

مشهد من مسرحية «كلنا غارقون في العار»